المجرفة بروح الدعة لا بروح الانتقام حتى اذا ما عملتم بمشورتنا الابوية تستجلبون عليكم البركات السماوية وتنالون رضانا. وعليه اننا في الختام نهديكم كبارًا وصغارًا بركتنا الرسولية. ولتشملكم ايضاً بركة الربّ المتعال وتحلّ على جميعكم باسم الآب والابن والروح القدس آمين

ابن تيميَّة والوهَّابيُّون

نظر تاريخي مذهبيّ للاب لويس شيخو اليسوعيّ

انَّ خلة جلالة ملك نجد عبد العزيز بن السعود على الحجاز ودخوله الطائف ثم مكَّة لمَّا ألفت نظر العالم الى الوهّابيين وتعاليمهم التي توافق في امور كثيرة آراء القاضي احمد بن تيميَّة فرغب الينا بعض القرَّاء ان نكتب لهم فصلًا في هذا الامام الشهير وانتماء الوهّابيين اليه. واذ قد سبق لنا مقال واسع في الوهابيين واصلهم وتاريخهم ومذهبهم (في المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٣٣—٣٥ و ١٠٧—١١٧ و ١٧٨ — ١٨٢) نحيل القرَّاء الى مراجعته ونكتفي هنا بذكر ابي تيميَّة واخباره وآرائه الخاصَّة

جاء في تاريخ ابن الوردي (٢ : ٢٨٤) في تاريخ سنة ٧٢٨ ما نصُّهُ بحروفه :

« وفيها في ليلة الاثنين والعشرين من ذي القعدة (ايلول ١٣٢٨ م) توفّي شيخ الاسلام تقي الدين ابو العبَّاس احمد ابن المفتي شهاب الدين عبدالحليم ابن شيخ الاسلام مجدالدين ابن البركات عبد السلام بن عبد الله ؛ ويروى ابن ابي عبد الله محمَّد) بن ابي القاسم ابن تيميَّة الحرَّاني الحنبليّ ممثَّلًا بقلعة دمشق وغُسِّل وكُفِّن وأُخرج وصلَّى عليه اوَّلًا بالقلعة الشيخ محمَّد بن تمام ثم بجامع دمشق بعد الظهر وأُخرج من باب الفرج واشتدَّ الزحام في سوق الخيل وتقدَّم عليه في الصلاة هناك اخوه والقى الناس عليهم مناديلهم وعمائمهم للتبرُّك وتراصَّ الناس تحت نعشه وحُزرت النساء بخمسة عشر الفًا والرجال قيل كانوا مائتي الف وكثر البكاء عليه وخُتمت لهُ عدَّة ختم وتردَّد الناس الى زيارة قبره ايَّامًا ورؤيت لهُ منامات صالحة ورثاهُ جماعة »

فيشعر هذا الكلام بخطب جسيم وينعي بوفاة رجل عظيم فمن هو يا ترى هذا

الرجل الذي تهتزّ لموته مدينة دمشق وهو مع ذلك يموت معتقلًا كمجرم في قلعتها. فهذا هو السرّ الذي نحاول كشفهُ في الاسطر التالية مستندين في قولنا الى رواة عاشروا في زمانهِ كابن شاكر في فوات الوفيات وشمس الدين الذهبيّ المؤرخ الشهير وابن الوردي وغيرهم

١ مولد ابن التيميَّة وتهذيبهُ

ولد ابن تيميَّة بحرّان من مدن الجزيرة بين الرها والرقَّة في ١٠ ربيع الاوّل سنة ٦٦١ (٢٣ ك ٢ ١٢٦٣ م) من أسرة فاضلة عُرف بعض افرادها بالعلوم الفقهيَّة منهم ابوهُ عبد الحليم وجدهُ محمَّد ابو عبد الله الذي ترجم بهِ ابن خلّكان. واسم تيميَّة نسبة الى تيماء المدينة الواقعة على طريق الحجّ وجد فيها جدَّهُ فتاةً شبَّه بها ابنةً وُلدت لهُ في غيبتهِ فدعاها تيميَّةً وقيل بل كانت امَّهُ تُدعى تيميَّة

انتقل احمد بن تيميَّة وهو صغير مع والدهِ واهلهِ الى دمشق مهاجرين هرباً من التتار الذين زحفوا على وطنهِ. قال ابن شاكر (١ : ٢٥٠) : «ساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلةٍ لعدم الدوابّ فكان العدوّ يلحقهم ووقعت العجلة فابتهلوا الى الله تعالى واستغاثوا بهِ فنجوا وقدموا دمشق في اثناء سنة ٦٦٧ »

سمع ابن تيميَّة من عدَّة شيوخ في الفيحاء يزيد عددهم على مائتي شيخ فحفظ القرآن وتعلَّم الخطّ والحساب واقبل على درس العربيَّة واخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهمهُ وبرع في النحو ثمَّ اقبل على تفسير القرآن حتى سبق فيهِ وانكبَّ على الفقه وأحكم اصولهُ قالوا : «ادرك من كلّ ذلك وهو ابن بضع عشرة سنة فاقهر الفضلاء من فرط ذكائهِ وسيلان ذهنهِ وقوَّة حافظتهِ »

٢ علومهُ وتآليفهُ

لو رجعنا الى اقوال مترجمي ابن تيميَّة لأخذنا العجب ممَّا رووهُ عن سعة علومهِ فيكاد كلامهم يذكّرنا بالنابغة الايطالي جان پيك ديلا ميراندول (J. Pic de la Mirandole) (١٤٦٣–١٤٩٤) الذي في الخامسة والعشرين من عمرهِ ادَّعى معرفة كلّ علوم زمانهِ (de omni re scibili) . فنعتَ العرب ابن تيميَّة « بالامام الرَّبّاني

إمام الائمة . ومفتي الأمة . وبحر العلوم سيد الحفاظ . فارس المعاني والالفاظ . فريد العصر . قريع الدهر . شيخ الاسلام . قدوة الانام . علّامة الزمان . وترجمان القرآن . علَم الزهّاد . واوحد العباد . قامع المبتدعين . وآخر المجتهدين . صاحب التصانيف التي لم يُسبَق الى مثلها » (ابن شاكر) . ومثلهُ قال بل زاد واطنب كثيرون من الشيوخ . قال كمال الدين ابن الزملكاني :

« كان ابن تيميّة اذا سُئل عن فنّ من الفنون ظنّ الرائي والسامع انهُ لا يعرف مثلهُ . وكان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جلسوا معهُ استفادوا من سائر مذاهبهم منهُ ما لم يكونوا عرفوهُ قبل ذلك . ولا يُعرَف انهُ ناظَرَ احدًا فانقطَعَ معهُ ولا تكلّم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع او غيرها الّا فاق فيهِ اهلَهُ المنسوب اليهِ . وكانت لهُ اليدُ الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين . . . ولهُ نظمٌ وسط »

قد بلغت تآليف ابن تيميّة على ما روى معاصروهُ نحو خمسمائة تأليف في ستّة الاف كرّاس يكتب في اليوم والليلة نحوًا من اربعة كراريس مدارها على جميع المعارف الدينيّة كتفسير القرآن والحديث والفقه ومسائل الشرع المتنوّعة والردود على المبتدعين . والبعض منها في عدّة مجلّدات . قال كمال الدين :

« لهُ من المؤلفات والقواعد والفتاوى والاجوبة والرسائل والتعاليق ما لا ينحصر ولا يضبط ولا اعلم احدًا من المتقدّمين ولا من المتأخرين جمع مثل ما جمع ولا صنّف نحو ما صنّف ولا قريبًا من ذلك مع انّ تصانيفهُ كان يكتبها من حفظهِ وكتب كثيرًا منها في الحبس وليس عنده ما يحتاج اليهِ ويراجعهُ من الكتب »

على انّ معظم هذه المؤلّفات قد اختلسها ايدي الضياع فلم يبقَ لابن التيميّة في زوايا المكاتب الشرقيّة في الشرق والغرب الّا نحو خمسين كتابًا طُبع منها قريبًا من ربعها ما يدلُّ على قلّة اقبال العلماء على تآليفهِ بالنسبة الى رغبتهم في تآليف الصوفيين كالغزّالي واصحابهِ

٣ زهد ابن تيميّة واخلاقهُ

قال ابن الوردي : « نشأ ابن تيميّة في تصوُّن وعفاف وتعبُّد واقتصاد في الملبس والمأكل . . . ولم يتزوّج ولا تسرّى ولا كان لهُ من العلوم الّا شيء قليل وكان

اخوهُ يقوم بمصالحهِ وكان لا يطلب منهم غداء ولا عشاء غالباً وما كانت الدنيا منهُ على بال »

وقال ابن الزملكاني : « انتهت الى ابن تيميّة الامامة في العلم والعمل والزهد والورع والشجاعة والكرم والتواضع والحلم والاناة والجلالة والمهابة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الصدق والامانة والعفّة والصيانة وحسن القصد والاخلاص والابتهال الى الله تعالى وشدّة الخوف منهُ ودوام المراقبة لهُ والتمسُّك بالأثر والدعاء الى الله تعالى وحسن الاخلاق ونفع الخلق والاحسان اليهم »

فترى من هذه النعوت ما كان لابن تيميّة من المنزلة في قلوب أنصارهِ . على انهم مع هذا الاطراء لم يستطيعوا السكوت عمّا كان يشيب اخلاقهُ من النقص . قال ابن الورديّ (٢ : ٢٨٨) :

« وكان فيهِ (اي ابن التيمية) قلّة مداراة وعدم تؤدة غالباً ولم يكن من رجال الدول ولم يسلك معهم تلك النواميس واعان اعداءهُ على نفسهِ بدخولهِ في مسائل كبار لا يحتملها عقول ابناء زماننا . . . وارتفع وانخفض واستبدَّ برأيهِ عسى ان يكون ذلك كفّارةً لهُ » . . .

وقال فيهِ الرحّالة ابن بطوطة (١ : ٢١٥—٢١٨) وكان عرفهُ في دمشق وحضر خطبتهُ في جامعها : « تقيّ الدين بن تيميّة كبير الشأن يتكلّم في الفنون الّا انّ في عقلهِ شيئاً » فيشعر قولهُ بمسٍّ في عقلهِ وغارٍ في تصرُّفهِ

وفي ردودهِ على خصومهِ شيء من العجب والزهد . ومما يروى لهُ قولهُ :

لو لم تكن لي في القلوب مهابةٌ لم يطمعِ الاعداء فيَّ وبقدحوا
كالليث أُهيبَ حطَّ لهُ الرَّبى وعوَتْ لهيبتهِ الكلابُ الشُّبَّحُ

٤ تعليم ابن تيميّة

انتصب ابن تيميّة للتعليم اوّلاً في دمشق وهو في سنّ الشباب قال الذهبيّ في تاريخهِ : « برع ابن تيميّة في العلم والتفسير وأفتى ودرّس ولهُ نحو العشرين » . وفي تاريخ ابن الوردي انهُ أفتى ولهُ اقلّ من تسع عشرة سنة (وقيل سبع عشرة سنة) وشرع في الجمع والتأليف ومات والدهُ ودرّس بعدهُ بوظائف ولهُ ٢١ سنةً وبَعُد

صيتُهُ في العالم فطبّق ذكرهُ الآفاق واخذ في تفسير الكتاب العزيز ايّام الجُمَع على كرسيّ من حفظهِ فكان يورد ما يقولهُ في المجلس دون توقُّف ولا تَلَعْثُم وكذلك الدرس كان يورده بتؤدة وصوت جهوري فصيح». وقال الشيخ علم الدين في معجم شيوخهِ: «كان ابن تيميّة يجلس في صبيحة كلّ جمعة على الناس يفسّر القرآن العظيم فانتفع كثيرون بمجلسهِ وبركة دعائهِ ... واناب الى الله خلقٌ كثير. فسّر كتاب الله مدّة سنين من صدرهِ ... بلغ تفسيرهُ اربعين مجلّدًا. (قالوا) وكان اذا ذكر التفسير بُهت الناس من كثرة محفوظه وحسن ايرادهِ واعطائهِ كلّ قولٍ ما يستحقُّهُ من الترجيح والتضعيف والإبطال وخوضهِ في كلّ فنّ».

٥ مذهبهُ وآراؤهُ

كان ابن تيميّة على مذهب احمد بن حنبل (١٦٤—٢٤١ هـ = ٧٨٠—٨٥٥ م) احد المذاهب السُّنيّة الاربعة المقبولة في الاسلام تبع في ذلك اباهُ وكان من كبار الحنابلة. والمذهبُ الحنبليّ اقلّ المذاهب شيوعاً واشدُّها استمساكاً بالتقليد وابعدُها من كلّ ابتداع وتجديد. فكان ابن تيميّة يتشبّث بآراء ابن حنبل وربّما غالى فيها واضاف اليها ما عرّضهُ لمعاداة اهل زمانهِ. قال ابن الورديّ (٢ : ٢٨٧): «بقي ابن تيميّة عدّة سنين لا يُفتي بمذهب معيّن بل بما قام الدليل عليهِ عندهُ ولقد نَصَرَ السُّنّة المحضة والطريقة السلفيّة(١ واحتجّ لها ببراهين ومقدّمات وامور لم يُسبَق اليها واطلق عباراتٍ احجم عنها الاوّلون والآخرون وهابوا وجَسَرَ هو عليها».

وكان يقول بالتجسيم ويشرح ما ورد في القرآن من الالفاظ المجازيّة كوجه الله وعينيهِ ويديهِ وجلوسهِ شرحاً حقيقيًّا على خلاف ما هو شائع بين علماء المسلمين ويوافقهم بذلك النصارى في ما ورد منها في التوراة. اخبر ابن بطوطة في رحلتهِ قال (١ : ٢١٦—٢١٧):

«كنتُ بدمشق يوم الجمعة فحضرتُ ابن تيميّة يعظ الناس على منبر الجامع ويذكّرهم فكان

---

١) هي طريقة الامام الحافظ صدر الدين ابن سِلَفة الاصبهاني المتوفى سنة ٥٦٦ هـ (١١٥١ م) وكان من اعيان المشايخ شافعيّ المذهب

من جملة كلامهِ أنْ قال: «انَّ الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولي هذا» ونزل درجةً من درجات المنبر فعارضهُ فقيهٌ مالكي يُعرف بابن الزهراء وانكر ما تكلَّم بهِ. فقامت العامَّة الى هذا الفقيه وضربوهُ بالايدي والنعال ضرباً كثيراً حتَّى سقطت عمامتهُ وظهر على رأسهِ شاشيَّة حرير فانكروا عليهِ لباسها واحتملوهُ الى دار عزّ الدين بن مسلم قاضي الحنابلة فامر بسجنهِ وعزّرهُ»

ومن آرائهِ الخاصَّة انكارهُ لما يُعرف عند المسلمين بالاجماع والقياس لاستنباط الاحكام الفرعيَّة من الاصول بالادلَّة المنطقيَّة. واغربُ من ذلك انهُ صنَّف كتاباً في «الردّ على المنطق» فضلاً عن ردّهِ على الفلاسفة. ولعلَّهُ ناقضَ رأيهُ في ذلك بفعلهِ. وكان «مادياً للصوفيين ولامامهم الغزالي ولأصحاب الطرائق وقد تعاليهم ونسبها للشيطان وعلى مثالهِ جرى تلامذتهُ كابي الفرج ابن الجوزي في كتابهِ تلبيس ابليس وابن القيّم الجوزيَّة

وكان ابن تيميَّة من المُعادين لشفاعة الاولياء وللسفر لزيارة قبر نبي الاسلام وقبور النبيين وينهى عن شدّ الرحال لذلك

ولهُ آراء أُخرى في امور شتى لاسيما في احكام الشرع لا حاجة الى ذكرها

٦ مِحَن ابن تيميَّة

انَّ الآراء التي ذهب اليها ابن تيميَّة قد سبَّبت لهُ من المِحَن ما يطول شرحهُ حتى قيل عنهُ «لم يَخلُ من فتنةٍ بعدَ فتنة ولم ينتقل طول عمرهِ من محنة الَّا الى محنة». وكان اوَّل ما أثار عليهِ بعض الأئمَّة معاصريهِ انهُ بيَّن خطأً كثيراً من اقوال المفسّرين واصحاب المذاهب. قال الذهبيّ:

«كان ابن تيميَّة اذا ذُكر التفسير فهو حاملُ لوائهِ. وان عُدَّ الفقهاء فهو مجتهدهم المُطلَق. وان حضر الحفَّاظ نطقَ وخرَسوا، واستزاد وأبلسوا واستغنى وأفلسوا، وان سُمّي المتكلمون فهو فردهم والبهِ مرجعهم. وان لاح ابن سينا يتدمُ الفلاسفة فلَسَهم وبَجَسهم وهتك استارهم وكشف عوارهم. فانَّ سيرتهُ وعلومهُ ومعارفهُ ومِحَنهُ وتنقُّلاتهِ يُحتَمل ان توضع في مجلَّدين»

ولعلَّ تفوُّقهُ هذا على اقرانهِ كان سبباً لتحاملهم عليهِ. قال فتح الدين بن سيِّد الناس:

دبَّ اليهِ من اهل بلادهِ الحسد، وأكبَّ اهل النظر منهم بما يُنتقَد عليهِ من امور المنتقد،

فخلطوا عليه في ذلك كلاماً قد اوسعوه تلبيساً وفوّقوا لتدبيره سهاماً، وزعموا انهُ خالف طرائقهم وفرّق فريقهم فنازعهم ونازعوه وقاطع بعضهم وقاطعوه . ثمّ نازعتهُ طائفة أخرى ينتسبون من الفقراء (الصوفيين) الى طريقة ويزعمون انهم على طريق أرقّ باطن منها واجلى حقيقةً فكشف تلك الطرائق ، وذكر لها مزاعم سوابق ، فآضت على الطائفة الاولى من منازعيه واستمانت بذوي الضغف عليه من مقاطعيه، فوصلوا الى الامراء امرَهُ واعمل كلّ منهم في كُفرهِ فكرهُ، فرتّبوا محاضر وسعوا بنقله الى حضرة المملكة بالديار المصريّة فنُقل وأُودع في السجن ساعة حضوره واعتُقل وعقدوا لإراقة دمه مجالس ، وحشدوا لذلك قوماً من عمّاد الزوايا والمدارس ، وربّك يعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون . . . فردّ الله كيد كلّ في نحره، ونجّاهُ على يد من اصطفاهُ والله غالب على امرهِ »

وكانت اوّل محنةٍ اصابتهُ في دمشق لسؤال ورد اليه من اهل حماة سنة ٦٩٨ (١٢٩٩م) في الصفات الالهيّة فأجاب بجسّماً لها على ما سبق لنا القول فعُزل لذلك عن التدريس

وفي السنة ٧٠٥ عُقدت لهُ مجالس بحضرة الافرم نائب السلطنة في دمشق فناظر خصومهُ واخصمهم . الّا انّ قاضي الشافعيّة سار به الى الديار المصريّة ليحاكمهُ عند الملك الناصر وعلماء البلاد فعُقدت لهُ مجالس حاكموهُ فيها على كلامهِ في الاتحاديّة وطعنهِ بالمذاهب فحُبس سنة ٧٠٧ بحبس القضاة في جبّ القلعة مع اخويه سنةً ونصفاً . فكان يعلّم اهل الحبس ما يحتاجون اليه من امر الدين ثمّ اخرجوهُ الى الاسكندرية وجعلوهُ في بُرج حُبس فيه ثمانية اشهر يدخل اليه من شاء . ثم توجّه الى مصر واجتمع بالسلطان في مجلس حفل فيه القضاة واعيان الامراء فأكرم اكراماً عظيماً وشاورهُ الملك في قتل بعض اعدائهِ فامتنع الشيخ من ذلك وجعل في حلّ كلّ من آذاهُ

ثمّ سكن القاهرة وعاد الى نشر العلوم فجرت لهُ بعد مدّة محنةٌ أخرى لسبب قضيّة شيخ يُعرف بالبكري وغيرها فتوجّه الى الشام صحبة الجيش قاصداً الى العراق فمرّ ببيت المقدس ثم رجع الى دمشق بعد غيبتهِ عنها سبع سنين فاستأنف التعليم وتصنيف الكتب وإفتاء الخلق فأفتى في مسائل اوجبت السلطان ان يمنعهُ من الفتوى لكنهُ رجع اليها قائلاً : لا يسعني كتمان العلم . وبقي كذلك سنةً ثمّ حبسوهُ في القلعة خمسة اشهر بتمامها . ثمّ اطلقوا سبيلهُ الى ان حدثت مسألة شدّ الرحال الى قبور الانبياء والصالحين فشنّعوا عليه وجُعل بامر السلطان في القلعة فاقام فيها ومعهُ اخوهُ

يخدمه فاقبل على العبادة وصنَّف تفسيرهُ للقرآن . وكتب في المسئلة التي حُبس لاجلها مجلَّدات فظهر بعضُ ما كتبهُ فآل الامر الى ان مُنع من الكتابة والمطالعة واخرجوا ما عندهُ من الكتب ولم يتركوا لهُ دواةً ولا قلماً ولا ورقة وبقي اشهرًا على ذلك يتعبَّد ويتهجَّد الى موتهِ بعد مرضٍ دام عشرين يوماً فأسف الخلق عليهِ واجتمعت دمشق لحفلة جنازتهِ فحُمل الى مقبرة الصوفيَّة ودُفن هناك بجانب اخيهِ الامام شرف الدين. قال ابن شاكر في ترجمتهِ (ص ٤١—٤٢):

« حضر جنازتهُ من الرجال والنساء اكثر من مائتي الف وشرب جماعةٌ الماء الذي فضل من غسلهِ واقتسم جماعة بقيَّة السدر الذي غُسل به وقيل انَّ الطاقيَّة التي كانت على رأسهِ دُفع فيها نحو ٥٠٠ درهم وقيل انَّ الخيط الذي كان فيهِ الرقيق الذي كان في عنقه لاجل الغسل دُفع فيهِ ١٥٠ درهماً (كذا!) وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير »

وقال في وصفه انهُ «كان ابيض شديد سواد الرأس واللحية قليل الشيب شعرهُ الى شحمة اذنهِ كأنَّ عينيهِ لسانان ناطقان رَبعة من الرجال »

٧ ابن تيميَّة والبدع والاديان

من راجع جدول مصنَّفات ابن تيميَّة يجدهُ لم يدع بدعةً او ديناً الَّا ناقضهُ وردَّ عليهِ ردًّا مطوَّلاً . وكان شديد التعصُّب يرى عمل السيف في كلّ من يخالف دينهُ . بل يتشدَّد على ما لا بأس فيهِ كتحريم السَّماع وتحريم الشبَّابة وتحريم لعب الشطرنج وتقديم بَسْط سجادة المصلي قبل مجيئهِ . ومن تآليفهِ «كشف حال المشايخ الاحمديَّة واحوالهم الشيطانيَّة» وردود على القدريَّة والجبريَّة وعلى المعتزلة والاماميَّة والاشعريَّة. وممَّا نُشر لهُ فتواهُ في مقاتلة النصيريَّة والاسماعيليَّة والقرامطة . نشرها المستشرق غويار (St. Guyard) في المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة (سنة ١٨٧١ ج ١٨ ص ١٥٨—١٩٨) يبيح فيها اموالهم ودماءهم . ولا شكَّ انهم هم الكسروانيُّون الذين ورد ذكرهم في تواريخ المسلمين كالنويري والكتبي . وكان ابن تيميَّة صنَّف فيهم كتابهُ «الردّ على الكسروانيين» وقد ظنَّ بعض كتبة المواريخ ان المقصود هنا بالكسروانيين ابناء طائفتهم وهذا غلط فانَّ المواريخ لم يكونوا في ذلك العهد استوطنوا كسروان . وقد روى ابو الفداء في تاريخ سنة ٧٠٥ هـ (١٣٠٥م) وصالح بن يحيى في تاريخ

بيروت تفاصيل حملة المسلمين على كسروان (ص ٤٨-٥١) واهلها النصيرية الظنّيين، اي الاسماعيلية والرافضة. فقتلوا ونهبوا واحرقوا وسلبوا وسبوا واسترقوا

وقد اظهر ابن تيمية تحمسه الديني في مناهضة القول فانهُ كتب ردًّا عليهم ولمّا قدم التتار سنة ٦٩٩هـ (١٣٠٠م) الى البلاد الشامية اجتمع باركان الدولة في دمشق ومصر واستصرخ بهم وحضّهم على الجهاد ولم يكفّ عن التحريض والتنشيط الى أن تمّ الظفر لسلطان مصر في وقعة شقحب قرب دمشق سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٣م)

وقد تحكّك ابن تيمية بالنصرانية. فانّ بين مصنّفاته كتباً تدلُّ على تعرُّضه للدين النصراني منها الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح في اربعة مجلّدات ردًّا على بعض رسائل بولس الراهب اسقف صيداء التي نشرناها سابقاً. ومنها كتاب التخجيل لاهل الانجيل. ومنها الرسالة القبرسية وجّهها الى ملك قبرس ليقنعهُ ببطلان النصرانية. وقد اطّلعنا على بعض هذه الردود فوجدناها على خلاف ما كنّا ننتظر من علم ابن تيمية فانهُ كثيراً ما يُسيء فهم العقائد النصرانية وينسب اليها ما هي براء منهُ او هي آراء لبعض الخوارج الذين حرمتهم الكنيسة بجامعها. وهو يصف الاحبار والقسيسين والرهبان بل عموم النصارى بالمراءاة والخداع ويزعم انهم ابدلوا دين المسيح وهو لم يعرف من هذا الدين الّا ما هو دون القليل. ويزعم انّ هرقل الملك واحبار نجران ومعظم النصارى اقرّوا بنبوّة محمّد فلم يُذعنوا الى الحقّ عناداً او لغايات بشرية. ومن عجيب ما يقولهُ في علماء النصرانية (ص ١٧ من الرسالة القبرسية) « انّ اكثر علمائهم زنادقة » واعجب من ذلك انهُ يتّهم هناك النصارى بعدم اقرارهم بانّ في الجنّة « اكلاً وشرباً ولباساً ونكاحاً ! ! » ثمّ يدعو الى جهادهم. ولو اردنا تخطئة مزاعم ابن تيمية في النصرانية لاحتجنا لا لاربعة مجلّدات بل الى مكاتب واسعة هي والحمد لله مهيّأة حافلة لمن يريد الاطّلاع على صحّة دين المسيح كما تسلّمتهُ الكنيسة منهُ تعالى بلا تغيير ولا تبديل. وليس بحث او مشكل ايًّا كان الّا وقد اتّسع فيهِ علماء الكنيسة في سائر القرون وفي سائر البلدان وفي سائر اللغات فكيف امكن ابن تيمية ان يردّ عليهم وهو يجهل مذهبهم فضلاً عن كتاباتهم والسنتهم وتواريخهم المتواصلة بتقليد متسلسل الى اوّل النصرانية فطاش اذن سهمهُ وخاب املهُ

٨ ابن تيميَّة والوهَّابيُّون

انَّ بين تعاليم ابن تيميَّة والوهَّابيين علائق واضحة. فقد سبق لنا في مقالاتنا عن الوهَّابيين انَّ زعيمهم عبد الوهَّاب كان على مذهب احمد بن حنبل وكذلك ابن تيميَّة كان حنبليًّا بل غالى في تعليم الحنابلة كما يفعل حاضرًا ابن سعود وحزبهُ وهم من غُلاة الحنابلة يزعمون مثل ابن تيميَّة انَّ الاسلام قد حاد عن سذاجتهِ الاصليَّة التي كان عليها ولذلك يبغضون المتصوِّفين والزهَّاد واصحاب الطرائق المعروفين بالفقراء اوالدراويش. وتعصُّبهم لمذهبهم غاية في الشدَّة والفظاظة كما ذكرنا عنهم في تاريخهم لمَّا دخلوا في اوائل القرن التاسع عشر مكَّة والمدينة فعملوا فيهما ايدي النهب وجرَّدوهما من الهدايا والنذور ومنعوا زيارة قبر نبيِّهم وخلفائهِ الراشدين ونهوا عن شرب القهوة والتبغ فضلًا عن الحرير وعن ملابس الحرير. وقد سعى عبد العزيز بن السعود في تجنيد اهل دولتهِ بان ألَّفهم على هيئة جيش ذي فرقٍ مختلفة تُدعى بالاخوان يستصرخهم ويبعثهم لحروبهِ فيلبُّون دعوتهُ عن طيبة خاطر فعلى هذا المنوال قد وسَّع تخوم دولتهِ حتى صارت الآن تشمل معظم جزيرة العرب من نجد والبحرين والحجاز. وكان الانكليز يوالون قلبهُ بما يدفعون لهُ من المال ليكفَّ عن محاربة الملك حسين شريف مكَّة فقطعوا عنهُ ذلك الراتب منذ دخل الحجاز وفتح الطائف ومكَّة. والله اعلم بما سيأول اليهِ امر الوهَّابيين اذا ما حاولت بريطانية العظمى محاربتهم ولاسيَّما ان قسمًا كبيرًا من المسلمين مستاؤون من اعمالهم ومن شدَّة تعصُّبهم. وقد شاع آخرًا ان مصطفى كمال والاتراك يتقرَّبون من الوهَّابيين لبغض كلا الفريقين للاجانب فيمدُّونهم بالاسلحة والذخائر الحربيَّة ليتقرَّبوا من بلاد الانتداب فلسطين وسوريَّة